الثاني: نوادر المذهب والروايات غير المعروفة التي توجد عن صاحب المذهب وأصحابه خارج الكتب المشهورة المعتمدة، مثل: «أمالي» أبي يوسف و«الرقّيات» و«الهارونيات» و«أمالي» الحسن بن زياد وغيرها[1].

الثالث: تخريجات أصحاب الوجوه وعلماء المذهب، مثل تخريج الطحاوي[2] والكرخي[3] وعيسى بن أبان[4] في مذهب أبي حنيفة، وتخريج أبي إسحاق الشيرازي[5] وغيره في مذهب الشافعي.

المراتب الثلاث في الشريعة المحمدية

وهكذا توجد المراتب الثلاث في دين محمد ﷺ: ظاهر الدين، ونوادر الدين، وتخريجات العلماء، وهذا التثليث ينطبق على كل فن من فنون الفقه والسلوك والعقيدة، وصاحب العلم والفهم هو الذي يُفرق بين هذه المراتب في كل فن، ويُعطي حكمًا لكل مرتبة.

---

(١) انظر تفصيلها في النافع الكبير ومفتاح السعادة ١٢٦/٢.

(٢) الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي من كبار فقهاء الحنفية، توفي سنة ٣٢١هـ. (الفوائد البهية ٣١-٣٤).

(٣) أبو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي شيخ الحنفية بالعراق، توفي سنة ٣٤٠هـ. (الفوائد ص١٠٩).

(٤) من تلامذة الإمام محمد، توفي سنة ٢٢١هـ. (الفوائد ص٥١).

(٥) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ. (طبقات السبكي ٨٨/٣-١١١).

ظاهر الدين ومراتبه الخمس

ثم إن ظاهر الدين يحتوي على خمس مراتب كما يلي:

المرتبة الأولى: مدلول صريح القرآن الذي لا يكون قابلاً للتشكيك والتردّد.

المرتبة الثانية: مدلول صريح الأحاديث المستفيضة الواردة في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي، والتي ذهب إليها جمع عظيم من العلماء القدامى والمتأخرين، ولا يظهر فيها تعارض الأدلة وكثرة اختلاف الروايات.

المرتبة الثالثة: حديث صحيح أو حسن يوجد في الأصول الخمسة، وصحّحه العلماء، وتمسك به طائفة من الفقهاء، ولا يجري عليه اسم الشذوذ والضعف ومخالفة الإجماع.

المرتبة الرابعة: المسائل التي لا يدل عليها حديث صحيح صريح معروف، ولكن اجتمعت فيها أقوال جمّ غفير من الصحابة والتابعين، خصوصًا ذهب إليها علماء المدينة، ويكون ذكرها في «الموطأ» الذي هو أشهر كتب الفقه وأصحّها وأكثرها قبولاً، ولم يتعقّبها حفّاظ الحديث مثل الشافعي والبخاري ومسلم بحديث أو بأقوال أكثر أهل العلم أو بنحو ذلك.

المرتبة الخامسة: المسائل التي لم يرد فيها نص عن الصحابة والتابعين، ولكن تكلّم فيها العلماء المجتهدون مثل مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وتمسّكوا فيها بظواهر قوية من الكتاب والسنة، أو أقاموا أقيسة صحيحة قوية ظاهرة عليها، ثم ذهب إلى رأيهم جماعات كثيرة وصحّحوا استنباطهم.

فهذه المراتب الخمس هي ظاهر الدين، والجادة القوية التي تركها ممنوع والتساهل فيها قبيح.

نوادر الدين

ونوادر الدين هي الأحاديث المحكوم عليها بالضعف، أو المروية في كتب غير مشهورة، أو آثار الصحابة والتابعين الشاذة وغير المشهورة وغير المعمول بها، أو مذاهب الفقهاء التي لم تدوّن ولم تحفظ كتبها.

تخريجات الدين

وتخريجات الدين هي التي استخرجها علماء الحديث من ظواهر غير قويّة من الكتاب والسنة، أو سكت عنها أصل الحديث والآثار واستنبطها الفقهاء، واختلفت فيها آراؤهم، ولم يظهر ترجيح رأي منها على آخر، وكثرت الوجوه والمآخذ في هذا الباب.

طريقة تتبّع الجادة القويّة

وقد أطلعني الله على هذه المراتب إجمالاً ثم تفصيلاً في كل باب، ثم كشف لي أن الطريق لتتبّع الجادة القويّة هو أن يُحصّل كتب الحديث المشهورة مثل البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود، ويقرأ «الموطأ» بحثًا ودرايةً، ويدرس كتاب «شرح السنة» بعناية، ويطلع على اختلاف العلماء واتّفاقهم، ولا أشكّ أن من يصنع ذلك ويحظى بفهم وذكاء، يميز الجادة الجلية من غيرها، ويدرك المراتب الثلاث. فإذا كانت المسألة منصوصة يذهب إليها في الجادة الجلية، ولا يجوّز التخلّف عنها. وإذا كانت من التخريجات لا يلتزم باتباع فقيه معين، بل يختار الأصح والأوفق أو قول أكثر العلماء، كما يصنع المقلّدون في تخريجات مذهبهم، ولا يبعد أن يتمسك هنا بالنوادر، ويرجّح رأيًا في ضوئها.